مفهوم العالم الآخر عند سكان المغرب القديم من خلال الطقوس الجنائزية والتصوير الجداري

د. بن عبد المومن محمد/جامعة وهران1

***

تقديم[*]:

إن موضوع الطقوس الجنائزية، والتصوير الجداري للتعبير عن الحياة في العالم الآخر عند سكان بلاد المغرب القديم اعتبره جديدا بالنسبة للدراسات التاريخية لهذه المنطقة، وهو من الدراسات الاسكاتولوجية التي لم تلق الاهتمام من الباحثين،فمثل هذه المواضيع تسمح لنا على الاقل الخروج من دائرة المواضيع المألوفة، إذلم يحظ هذا النوع من الدراسات باهتمام الباحثين مقارنة مع مواضيع تاريخية أخرى، ويمكن ارجاع ذلك إما لشحّ المادة الاثرية والتاريخية، أو لنفورهم من مثل هذه المواضيع المزعجة التي لا تتلاءم مع الطبيعة البشرية التي تميل للتفائل والحياة.

لكن المتتبع لتعامل سكان بلاد المغرب القديم مع الموت، والطقوس الجنائزية، ونصوص شواهد القبور، والتصوير الجداري سيجد نفسه أنّ الموت بالنسبة إليهم هو استمرار للحياة، ولم يكن سوى حدثا طبيعيا، فأوجدوا مثلهم مثل باقي شعوب الحضارات القديمة أدبا جنائزيا، ورموزا، وشعائر، هذّبت من فجعه، وساهمت في عقلنة اللامعقول. سأوضح من خلال عينات من الطقوس والادب الجنائزي، والرسومات الجدارية ما كان يعتقد فيه سكان بلاد المغرب القديم لتحقيق الحياة الأبدية في العالم الآخر، وكيف تعامل الأحياء مع الموت.

1- الطقوس الجنائزية:

قبل الحديث عن الأدب الجنائزي يجدر بنا الاشارة لطرق دفن الميت التي هي في الاصل حلقة من حلقات تحقيق الخلود في العالم الاخير، لان شعيرة الدفن هي في حدّ ذاتها طقسا من الطقوس الجنائزية التي يجب اتباعها، فمن تقارير التنقيبات أمكن استخلاص أن سكان بلاد المغرب القديم لم يلتزموا قاعدة محددة لوضع الجثة في المدفن، أو لاتجاهها، وبالتالي أمكن التعرف على عدّة وضعيات، فمنها من دفن ممددا على الظهر، أو على أحد جانبيه،

---

[*] - Abstract: The inhabitants of the Ancient Maghreb have known various funeral traditions that reflect the existence of a philosophy of immortality, and the existence of an eschatology among them, and to express this faith they followed the rituals Funerals and used symbols and iconographies and other elements that became essential to reach the afterlife.

Keywords:Ancient Maghreb; funeral; immortality; iconographie; afterlife.

مع رفع الركبتين ليلتصق الفخذان بالبطن، أو ممددا على الظهر مع ثني الرجلين، ورفع الركبتين إلى الأعلى، واختلفت وضعية اليدين، كانتا ممدتان على جانبي الجسد، أو متقاطعة على الصدر، لكن الشيء المشترك بينها، محاولة إظهار الأموات بمظهر الأحياء عند دفنهم، وقد يكون ذلك بمحاكاة وضعية النائم، أو بوضع أقداح بين أيدي الموتى، وتزويدهم بالحلي، وبكل الأشياء التي كانوا بحاجة إليها أثناء حياتهم.

بعد انتهاء شعائر الدفن، يقوم أهل الميت، والمرافقين للموكب الجنائزي، بالدعاء لروح الميت، بالحياة السعيدة في العالم الآخر، وغالبا ما كانت تردد العبارات التّالية حتى في حالات الترميد التي كانت تقام خارج المدينة، فبعد إخماد نيران المحطبة، ترمى حفنة من التراب على رماد الميّت كرمز للدّفن، وبعد ذلك يردد الحضور مايلي: "... اذهبالآن.."، ثم يضيفون مردّدين: "...صحة جيدة..."، يستخلص من العبارتين اعتقادهم أن الميت يبقى حيا داخل قبره[1].

وفي حالات الدفن العادي، كانوا يخاطبون أرواح موتاهم أثناء، وبعد الدفن بمايلي: " كوني بعافية..."، و"...ليكن الثرى خفيفا عليك..."، أو "...يستريح هنا..."، وعبارات أخرى مثل: "...ليرتاح في سلام..."، كما وردت صيغ أخرى للتضرّع لكي تبقى روح الميت داخل قبرها، مثل: "...تمتع جيدا داخل قبرك..."[2]، وجرت العادة مع نهاية المراسيم الجنائزية، أن تنادى روح الميت ثلاث مرات باسمه، ثم التمني لها أن تعيش حياة سعيدة تحت الثرى، مرددين ثلاث مرات ما يلي: "... كوني بخير..." ثم يضيفون قائلين "...ليكن الثرى خفيفا عليك..."[3].

كما كانوا يتباهون بتحضير قبورهم أثناء حياتهم، وتعددت الدعوات التي تحث الأحياء لتهيأة قبورهم، لأن ذلك يبين مدى استعداد الفرد لخروج عالم الدنيا، ودخول العالم الآخر، خاصة وأنهم كانوا على علم بأن الموت يفاجئ الإنسان في أية لحظة، وفي هذا الشأن ورد ضمن محتوى نقيشة (توبوسوكتو-Tupusuctu) نداء "ديوجنيس فارناس-Diogenes Pharmaces" لكل من يقرأ إهدائه عليه الالتزام ببناء قبره وهو حي في قوله:

---

[1]- I.Bayet, Histoire politique et psychologique de la religion romaine, éd , Payot, Paris, 1969, p72.

[2]De Coulanges .F, la cité Antique, éd, Hachette, Paris, 1920.p9

Ibid , p9.[3]

" للآلهة مان[1]

... أنا (ديوجنيس فارناس-Diogenes Pharmaces)

أنجزت قبري وأنا حي

أنجزت مثوايا الأخير، وعمري 81 سنة

لكي لا أكون عبئا على أحد

لماذا الحيرة أنتم الذين تقرأون هذه الأبيات؟

الموت على كل البشر

موجود هنا، ليكن الثرى خفيفا عليه"[2].

وفي السياق نفسه تضمن محتوى نقيشة جنائزية[3] عثر عليها مسطورة على قطعة رخامية بقرطاجة يكشف محتواها دعوة صاحبها "فيتاليس-Vitalis" كل فرد عاقل أن ينجز قبره في حياته[4]. وقيام أحد قدماء المحاربين، المدعو "يوليوس مرتياليس-Julius Martialis" بتحضير قبره في حياته، بـ:(زراي- Zarai)[5]، الذي كلّفه ستة وعشرون ألف (سسترسيس- Sesterces)*

أعتبر هذا الاعتقاد من بين التصرفات الحكيمة، والاحتياطية التي تضمن امتداد حياة الفرد في العالم الآخر، وعكس ذلك يسبب له التلاشي، وروحه تبقى تائهة، مثلما يبينه محتوى نقيشة (قرطاجة) التي تضمنت نوعا من التباهي في إنجاز القبر أثناء الحياة، ودعوة الأحياء للعمل بالمثل، وفي ذلك ورد مختصرا ما يلي:

"... أنجزت قبري وأنا حي.....

1- تمثل معبودات الأسلاف.

2- Ch. Hamdoune , Vie, mort et poésie dans l'Afrique romaine d'après un choix de Carmina Latina Epigraphica, avec la collaboration de L.Echalier, J.Meyers et J.N.Michaud, ouvrage publié avec le concours de l'EPHE et de l'Université Montpellier III , éd, Latomus-Bruxelles , Volume 330 – 2011,pp237-238

3-Wilmanns. G, Th. Mommsen, Corpus Inscriptionum Latinarum (=CIL VIII)n°12468, Berlin , 1881.(...Dum sum vitalis et uiuo , ego feci sepulcrhum...)

4-Fr.Flessis, Poésie latine. Epitaphes, textes choisis et commentaire, Paris, 1905, pp125-129, n°25 ; Chr. Hamdoune, Op.cit, pp 82-83 ; PLX, Fig10.

5- CIL, VIII , 4524 (.... C.Iulius Martialis veteranus
Has sedes genitor dum uita manet, sedi fecit...
...simul depensa sexs et XX millia nummorum...)

* يعتبر 1000 (سترسيس) هر السعر الأدنى لإنجاز قبر، و80000 هو أعلى سعر. ينظر :
Ch. Hamdoune et autres , op cit p 224 , note 171

....إذا كنت عاقلا هيء قبرك في حياتك...."[1]

فكانوا يتعجلون الموت من خلال ما احتوته بعض النقوش، كالنّص المنحوت على تابوت بـ:(سيرتا –Cirta) قسنطينة، يعود تاريخها إلى نهاية القرن الثاني، وبداية الثالث الميلادي، يتعجل صاحبه الموت لبلوغ العالم الآخر، هذا مقتطف منها:

"...أنا (أوغيليا منيزيتيا -Aurelia Mnesithea)

كنت صالحة، ووفية لزوجي

كان يحب أبناءنا مثلما أحبني...

(روغاتيانوس –Rogatiannus)، عشت أتعجل الحياة الأبدية..."[2].

كانت الدّعوة لاختيار الأماكن المناسبة لبناء القبور بجوار المواقع المشجرة، لأن هذه الأخيرة ترمز لعنصر التجديد، أوراقها تنمو، وتسقط دوريا، وفي هذا المغزى يكشف محتوى نقيشة شاهد قبر بموقع (سبيطلة –Sbeitla) لما ذكره "ل.فلافيوس -L.Flavius" الذي ألتزم بتهيئة قبره، وقبور أهله، أثناء حياته بجوار موقع مشجر[3].

مقابل ذلك لقيت عملية نبش القبور استنكار الأحياء عند شعوب الحضارات القديمة، وتعددت حالات النّبش نذكر على سبيل الذكر لا الحصر قيام (سيلا-Sylla) المنتصر على "ماريوس-Marius" بنبش قبر هذا الأخير، وترك جثته للطيور الجارحة والكلاب[4]. وأكّدت النقوش الجنائزية على صيغ التحذيرات التي كانت توجه لأولئك الذين يقومون بنبش القبور، لأن روح المذنب ستتحول بعد موته إلى شبح تائه، ولا تقدم لها القرابين[5].

لم يخرج سكان بلاد المغرب القديم عن هذه القاعدة، حيث أفرزت نقيشة عثر عليها بالضفة اليمنى لـ:(وادي إبراهيم) بين (هنشير الكوسات -Hr.Kaoussat)، و(سيكا فتيغيا -SiccaVeneria) الكاف بتونس، تضمن محتواها تحذيرا لنبش القبور تمثّل في لعنة آلهة السماء، والجحيم لكل من يقترف هذا التصرف المشين[6]، مما يبين قداسة

---

[1]- Ibid , pp 82-83. (...Iuuenis , uiuo tibi pone sepulcrhum.)

[2]- CIL, VIII, 7228 (Rogatiane, tibi. Vixi festinans uiuere....semper.)

[3]-Duval .N, Inscriptions Byzantines de Sbeïtla (Tunisie) III, M.E.F.R , Antiquité, 1971, volume 83, pp 423-443.

4-Joblé Duval .E , les morts malfaisants, éd, Exergue, Paris, 2000.p67

[5]- Ibid , p64.

[6]- CIL, VIII, 15716. (...Qui hoc sepulcrum uiolarit deos
Superos inferosque iratos habeat...)

القبر من جهة، ووجود اعتقاد في عالمين آلهة السماء، التي ترعى إقامة السعداء، وآلهة الجحيم.

مقابل ذلك، تضمنت النقوش لعبارات نصح للأحياء، صيغت بلسان حال الأموات، يستخلص قارئها أن الأموات هم الذين يتفلسفون، ويواسون الأحياء، ويعرضون تصوراتهم، وينصحونهم، ويطلبون منهم الوقوف أمام قبورهم، وقراءة ما كتب على نصبهم الجنائزية. الأمر الذي يدفع إلى طرح سؤال: لماذا اهتمّ الأحياء بالموات في كتاباتهم الجنائزية؟ وما علاقة ذلك بمسألة ما بعد الموت؟ للإجابة على مثل هذه الأسئلة، يستوجب علينا الرّجوع لأهمية النقيشة كأداة تذكّر للأموات، تدفع بالأحياء، عدم نسيان موتاهم، عن تذكرهم عن طريق القرابين، والطقوس الجنائزية المقامة على شرفهم، وعبارات الترجي التي جاءت مسطورة، مثل ما ورد في نص نقيشة (توبورسيكو نوميداروم–Thubursicu Numidarum)-خميسة-، هذا جزء منها: "..أنتم الأحياء، تصرفوا في حياتكم جيدا، وعيشوا زمنا طويلا، ثم تعالوا.."[1]. أو"...اقترب من فضلك، وانتبه إلينا..."[2]، وعبارات أخرى، مثل" ... أنت المار، توقّف قليلا، من فضلك، أيها المسافر، اقرأ هذه الكلمات، واحتفظ بها لنفسك..."، استطاع الأموات من خلالها، الارتقاء إلى شكل من الحياة في ذاكرة الأحياء.

كشفت لنا التقارير التنقيبية عن شعائر الدفن عند الرومان الذين كانوا يعتقدون أن دفن موتاهم داخل الغرف الجنائزية ظنا منهم أنهم يقبرون بداخلها عنصرا حيا، وكان الاعتقاد السائد اثناء تلك الفترة، أن عملية دفن الجثة ما هي سوى وضع شيء داخل المدفن[3]، مثلما ورد عند المؤرخين الرومان"أوفيد-Ovide"[4]، و"بلين الصغير-Pline le jeune"[5]، والشاعر (فرجيل-Vigile) عندما انتهى من دفن (بوليدور Polydore) قائلا:

"... إننا نحبس الروح بداخل القبر..."[6].

- Ibid, 5030 (...Vos Superi, Beni Facite, diu mimite unite...)[1]

-Ibid, 23774 (...Adis sis, curaque uiator aeternuu....)[2]

-F.De Coulanges, la cité Antique, p8.[3]

- Ovide,Ovide, Fastes, V, 451,Trad. M. Nisard, Paris, 1857.[4]

- Pline le jeune, Lettres, VII, 27, traduction , C.Sucard, éd, Garnier, Paris, 1954[5]

- Virgile, Eneide,III, 67, trad. Th.H.Barrau, Alph. Feillet, éd, Hachette et C[ie] , Paris 1867.[6]

ويمكن استخلاص من هذه الصّيغ الموجهة لروح الميت، التأكيد على اللّاعودة، لذلك لم يتأخر أهل الميت في دفن موتاهم، ومرافقتهم بالأثاث الجنائزي، وتقديم مختلف القرابين، وتجهيز مدافنهم بالرموز الأخروية، والهندسية، كتلك التي صمّمت لتكون مزودة بقنوات لإراقة السوائل، إذ عثر على هذا النوع بالمقبرة الغربية بتيبازة، ويشبه هذا التصميم الهندسي ذو الأبعاد الطقوسية بالدّراسة التي خصصها "مارو-M.H.I.Marrou"لتابوت عثر عليه بـ:(تموقادي) تمّ إيصاله بقناة لإراقة السوائل المغذية كالعسل، والحليب، والخمر[1]، والشأن نفسه بالنسبة لإحدى قبور (سيتيفيس)- سطيف-، الذي زوّد بقناة لإراقة السوائل[2]. وفي ذلك يشير "فوستيل دي كولانج- "Faustel De Coulanges[3] قائلا: "... كانوا يحملون وجبة من الطعام لكل قبر في أيام معينة من السنة..."، لذلك كان يراعى تطبيق الشعائر الجنائزية لكي لا يصبح موت الفرد، مصدر فزع لراحة، وحياة الأحياء.

لأن الأحياء وبكل بساطة كانوا يعتقدون أن الميت يعيش حياة أخرى في العالم الآخر، لذلك استلزم عليهم إطعامه لضمان حمايته، وراحته[4]، كما وجدت قنوات ماء أسفل هذا النوع من المدافن لم تكن موجهة للميت، وكان المقصود منها إما التطهير الرمزي، أو لتبريد المدفن[5].

ومسألة التبريد التي كشفت عنها التنقيبات قد أعيد النظر فيها من طرف بعض الباحثين منهم "بارو-" A.Parrotالذي أشار أن مصطلح التبريد كان يقصد به التبريد المادي، والسكون الجسدي داخل المدفن[6]، وتواصل هذا الاعتقاد أثناء الفترة المسيحية، حين ذكرت روح أسقف (تيبازة) وهي تتمتع بالبرودة، والانتعاش داخل المدفن (Anima refrigerat)[7].

2- التّصوير الجداري:

- Mounir Bouchenaki,Fouilles de la Nécropole occidentale de Tipasa (1968-1972), SNED, Alger, p49.[1]

- Paul-Albert Février, Roger Guéry , Les Rites funéraires de la nécropole de Setif,Ant.Afr, 15, 1980, [2] p106

-F. De Coulanges , op.cit , p12.[3]

Mounir Bouchenaki, Op.cit,, p49, note 123.-[4]

- Ibid, p50.[5]

- A.Parrot, le refrigerium dans l'au- delà, Paris, 1937, pp 143-145.[6]

- P.Monceaux, Histoire littéraire de l'Afrique romaine , III , Paris , 1905 , p 447[7]

يبقى فنّ التّصوير أصيلا على الجدران لدى سكان بلاد المغرب القديم، فاهتموا بالرّسم على الصّخور منذ ما قبل التاريخ مثلما تشير إليه رسومات التّاسيلي بالجزائر، وفزّان بليبيا، وجبال سالات بتونس، وعرف البونيّون تزيين جدران غرفهم الجنائزية برسومات تعلّقت بالعالم الآخر، وفي الشأن نفسه يذكر (محمد حسين فنطر)، ما يلي: "... ولا شك أن غالب الرسوم إزدانت بها جدران القبور تتعلق بما وراء الحياة، أي بالشؤون الأخروية، ويكون حديث الصّور سردا، ويكون بالإيحاء، والمجاز..."[1].

كشف التنقيبات عن مناطق بتونس احتوت على هذا النّوع التّصويري داخل غرف الّدّفن التي ترجع للفترة البونية، مثل (الخمير-Khmirs) بالشمال الغربي التونسي، و(كاف البليدة)، وكركوان، والقبر رقم 8 بجبل (ملزّة-Jbel Melezza)، وحوانيت جبل (بهليل-Jbel Behlil)، و(سيدي بوعزيز-Sidi Bou Aziz)، و(مجنة قربي- Mejna Korbi)[2]، التي رسمت بالطبشور الأحمر المكون من مادة ترابية تحتوي على أكسيد الحديد[3].

لكن الرّسومات التي وجدت داخل هذه الغرف الجنائزية، قد غيّبت بمدافن قرطاجة، و(حضرموتوم) سوسة، و(أوتيكا- Utique)[4]، و(غورايا)، و(الأندلسيات) بالجزائر، و(ليكسوس) بالمغرب الاقصى، ومناطق أخرى من هذا العالم. ويرجح بعض الباحثين أن ذلك مرتبط بمدى تواجد اللّوبيين الذين كان تواجدهم مكثف بالوطن القبلي، وجبال الخمير، والمزاق، بمعنى مناطق الساحل التونسي، إذ تكثر رسومهم[5].

لكن السّؤال المطروح: لماذا لم يعثر على مثل هذه الرّسومات بالجزائر والتي عرفت أراضيها عدة مواقع بونية تزامنت مع انتشار اللّوبيين بها؟ والشأن نفسه بالنسبة للمغرب الأقصى، وليبيا حيث أن العناصر اللّوبية كانت منتشرة في هذه المناطق؟

---

[1]- محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف– منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي-تونس، ص248.

[2]-Mansour Ghaki, Recherches sur les rapport entre les Phénico-Puniques et les Libyco-Numides , V^{ème} siècle – 1er- siècle avant J.C , Thèse de III^{ème} cycle , université de Paris I , Panthéon , Sorbonne , 1979 , manuscrit, p 157.

[3]- محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، ص 249.

[4]-نفسه، صص 254-255.

[5]-نفسه، ص255.

يحتمل أن يعود ذلك إلى قلّة التّنقيبات، على عكس تونس التي حظيت بالعناية التامة لأنها مركز الحضارة البونية، أو لأنّ سكّان المناطق الأخرى يكونون قد اختاروا تعابير رمزية أقل كلفة للتعبير عن اعتقاداتهم حول العالم الآخر، فاكتفوا بالطّلاسم، والتّعاويذ التي لا تخلو هي الأخرى من المفعول السحري على الميّت، كالجعلان، وقشور بيض النعامة، وزهرة اللّوتس، والأقنعة، التي كانت تمتلك نفس وظيفة الصّور الجدارية والمنحوتات، والأشكال الهندسية[1].

أ- رسم كاف البليدة

تمّ وصف رسم حانوت (كاف البليدة-Kef El Blida) *بتونس لأول مرّة من طرف (مرسيل سولينياك- M.Solignac)، وعلّق عليه عدة مرّات من طرف باحثين. وجد هذا الرّسم الجداري على بعد 10 كلم جنوب غرب (هنشير زاقا- Henchir Zaga)، تم اكتشافه سنة 1900م من طرف الملازم (أوفارت- Lt. Hovart)، كان محلّ عدّة دراسات وتأويلات من بينها دراسة (مونيك لونقرستاي- M.Longerstay) الذي اعتبر أن القارب حربي بحكم أنه يحمل على متنه محاربين مسلّحين، بينما يذكر (سولينياك) أنه يشهد للعلاقة بين الشمال التونسي والعالم الإيجي قبل وصول الفينيقيين، أصوله كريتية، ويرجع تاريخه إلى نهاية عصر البرونز[2].

يرى "كامبس-G.Camps" أن الرّسم يمثل طابعا جنائزيا، والقارب هو رمز للموت، أو الرّحلة التي يجب أن يقوم بها الميّت نحو العالم الآخر، وأرجعها إلى الفترة الأولى من الألفية الأولى قبل الميلاد.

والمشهد الرّئيسي يمثّل قاربا بمقدمة قائمة، وبشراع مطوي عند المنتصف، والظّاهر أن هذا القارب كان قريبا من الشاطئ، ومزوّد بمجدافين طويلين، تتوسطه سارية، يظهر على متنه سبعة أشخاص مسلحين برماح ثلاثية الرؤوس، يرتدون خوذات مدببة الرأس، ويحملون دروعا. ومن بين مشاهد هذا الرّسم الرئيسية بروز شخص

[1] - Fernando Prados Martinez, l'iconographie du nefesh dans la plastique punique, entre Carthage ET la péninsule Iberique, Manuscrit, p11.

*ينظر الصورة Lancel. S, Carthage , éd, Céres, 1999.p 311, Fig 120:1

[2]- M.Longerstay, Représentations de navires archaïques en Tunisie du nord, Karthago, XXII, 1990, pp 36-37

عار بيديه حدأة وبالأخرى خوذة، وآخر يبدو سابحا، وفي حالة فرار من تهديدات الشّخص الأول الواقف على ظهر القارب[1].

اختلف الباحثون حول هذا الرّسم، فمنهم من رشّح أصوله الكريتية، والشّخص الواقف المتوّج هو معبودا كريتيا[2]، والأسلحة الموصوفة هي النماذج الأكثر انتشارا في بحر إيجا[3]، بينما يرى آخرون أن الشّخص الواقف يحتمل أن يكون المعبود (بعل أمون)[4]، وبالتّالي يصعب تحديد أصوله هل كانت إيجية أم فينيقية *؟.

ذكر(الأب ج.فيرون- J.Ferron) في دراسة خاصة لهذا الرّسم، أنّ الشّخص الملتحي الممدّد هو روح الميّت التي تطير في الأجواء العلوية، بينما الشّخص الواقف قد يكون معبودا بحريا[5]، في حين يعتقد(بيزي- Aivi Bisi) أن هذه الصوّرة البحرية تحمل بعدا جنائزيا، ودينيا، موضوعها رحلة الرّوح نحو مملكة الأموات[6]، ومقابل ذلك يرى "محمد حسين فنطر" أن الشّخص العالق بمقدّمة القارب هو جنّ شرير حاول عرقلة مسار الرّحلة الجنائزية لهذا القارب[7]، لكنّه اصطدم بالمعبود حامي الأموات، الذي يبدو واقفا ومسلّحا الأمر الذي دفع بالجنّ إلى التراجع بسرعة خوفا من ضربات هذا المعبود القوية[8]. يذكّرنا هذا المشهد في الميثولوجيا المصرية القديمة بعرقلة الثّعبان (أبوبيس- Apopis) لرحلة القارب الجنائزي الذي كان يشرب ماء النهر كلّه، فيعجز المركب عن الملاحة.

---

[1]-Fantar. M.-H, Eschatologie phénicienne et punique, INAA, Tunis, 1970, p28.

[2]- Ibid, p 28.

[3]-G, Aux origines de la Berbérie, Monuments ET rites funéraires protohistoriques, éd, Doins, Paris 1974, p105.

[4]- M.Ghaki, op.cit, pp 157-158; P.Cinats, Carthage, op.cit, p312.

* يرى محمد حسين فنطر (M.H.Fantar) أن أصول القارب فينيقية، ويؤكد على طابع اللوحة الجنائزية وقيمتها الرمزية، في حين يبقى تاريخها غير محدد. ينظر:

Fantar,M.H., Eschatologie..., p26 , 31 ; id , le Dieu de la mer chez les phéniciens et les puniques, Rome, 1977, pp 21-23.

[5]- Fantar, M.H., Eschatologie ...., p30..

[6]- M.Longerstay, les Houanet état de question VI[e] Colloque international, PAU, octobre 1993, 118[e] congrès, éd, du Comité des travaux historiques et scientifiques, 1995, p37.

[7]- Fantar,M.H., Eschatologie.. , p30..

[8]- Ibid , p30

عبّر الباحثون الذين عالجوا موضوع هذه الجدارية عن رمزيتها الجنائزية وقيمتها الدّينية، فقد حدّدوا تاريخها ما بين عصر البرونز والقرن الثاني قبل الميلاد، كما أرجعوا أصولها إلى ثقافات مختلفة كالعالم الإيجي،والفينيقي، والبوني- الليبي[1].

يكشف " فيرون- Ferron"عن الطابع الجنائزي لجدارية (كاف البليدة)، على اعتبار أنّ الشّخص الواقف على ظهر القارب هو المعبود"بعل أمون"، ويقترح تأريخها للفترة البونية اللّيبية مع نهاية القرن السادسأو بدايةالخامس قبل الميلاد، واتّفق مع الباحث "بيزى- A.M.Bisi" أنها تحمل بعدا جنائزيا، ودينيا، تجسّد في رحلة روح الميّت نحو مملكة الأموات[2].

ب - رسم جبل ملزّة

يظهر رسم القبر رقم 8 بمقبرة جبل (ملّزة) صورة من صور التّمثيل الرّمزي[3]، يرتفع عن سطح أرضية الغرفة الجنائزية بنحو 80 سم، فوق حزام من المعينات، رسم ضريحين يزيّنان الجدارين الواقعين على يمين ويسار المدخل، وأمامهما وضع الرسّام مذبحا مدرّجا، وتبدو ألسنة نار قربانية مشتعلة، وصورة طائر مجنّح بدون شك يكون ديكا (Coq)، رسم هو الآخر على الجدار الأيسر من مدخل هذه الغرفة الجنائزية، وبالجهة المقابلة لمدخلها وجدت كوّة فارغة زيّنت برمز المعبودة (تانيت) التي يعلوها هلال مقلوب نحو الأسفل، وتبدو واضحة مدينة بمساكن، تحيط بها أسوارا وأبراجا مرسومة بوسط الجدار الدّاخلي المقابل للمدخل[4]، تسبقها صورة الطّائر، يرى "محمد حسين فنطر" أنها ليست للتّزيين، بل تحكي عقائد خاصة بالعالم الآخر[5].

اكتفى بعض الباحثين بتفسيرات بسيطة حول صورة هذه المدينة، ومن جملتهم "كامبس" الذي وصفها بأنها مدينة محاطة بسور[6]، وأرجعها "لانسيل- S.Lancel" على

---

[1]- M.Longerstay, op.cit, p38.

[2]- Ibid, p37.

[3]- Mounir Fantar, Expression de l'au- delà dans l'univers phénico-punique, Actes du 5ème colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes, Sbeitla, session 2006, institut national du patrimoine,Tunis,2008,p47, PL.I ,II,III.2ينظر الصورة.

[4]- S .Lancel , Carthage, p 308-310.

[5]- M.H.Fantar, Eschatologie....., p33.

[6]- G.Camps , Monuments et rites....., p107.

أنّها مدينة (كركوان) بسورها النصف الدائري[1]. يشير "محمد حسين فنطر" لوجود هذه المدينة المحصّنة مرسومة على جدران غرفة جنائزية يجب أن تفسّر في إطار العقيدة الجنائزية البونية، فهي المدينة التي تمثّل عالم الأموات[2].

فهي ترمز لمدّة رحلة روح الميت التي دخلت القبر، ويمكن تفسيرها بأنها حكاية بالصّورة، طريقة مشرقية قديمة، وصورة الدّيك الذي اختفى عن الأنظار، بمعنى أن الروح أخذت مكانها بمسكنها الباطني، ثمّ لتغادره باتجاه المدينة (Cité) مقر التقاء الأرواح لكي تنعم معهم بالخلود، ورمز المعبودة (تانيت) هو نوع من الحماية لروح الميت ضد أية قوة مزعجة، فهي دعاء بالسّلامة للميت[3].وكان يسمح بدخول هذه المدينة المحصّنة إلاّ من توفّرت فيه الشّروط، وقام أهله بالطقوس اللاّزمة التي تفرضها العقيدة القرطاجية[4].

لقد ربط الباحثون غالبية الرّسومات المنجزة داخل الغرف الجنائزية عامة بالمعتقد الجنائزي، وبالرّحلة التي تقوم بها روح الميّت نحو العالم الآخر[5]، لذلك لا يمكن اعتبار مشاهدها للتّزيين، بل تضمّنت في طيّاتها أبعادا أخروية.

خاتمة:

بالرغم من قلة المعطيات، إلاّ أنّه أمكن معرفة اعتقاد أنّ حياة الفرد أثناء الفترة الفينيقية البونية لقد انتهت حتما بالموت، لذلك كانت روح الميت تفرض على الأحياء نوعا من الاعتناء، من بينها تزيين مدفنه بالرّسومات، تحت رعاية المعبودات التي تحافظ على سلامة الميّت، وتؤمّن له رحلته نحو العالم الآخر، مقابل ذلك يضمن أهل المتوفى لأنفسهم الاطمئنان، وراحة البال في حياتهم الدنيويّة[6].

تكمن أهمية هذه الرّسومات، والرموز التي رافقتها، وأشكال العمارة الجنائزية، أنّه باستطاعة الإنسان أثناء تلك المرحلة من مواجهة الموت، والانتصار عليه، عن طريق

---

[1]- S. Lancel, Carthage, p 308 ; M.H.Fantar, Eschatologie....., p 35 n° 82.

[2]- M.H.Fantar, Eschatologie....., p35.

[3]- Ibid, p37; محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، ص254.

[4]- محمد حسين فنطر، الحرف الصورة..، ص254.

[5]- M.H.Fantar, « L'archéologie punique au cap Bon ». Découvertes récentes, Révista di studi Fénici, XIII, 2 Roma, 1985, p217

[6]-S.Ribitchini، «Suiriti Funerari Fenici e punici tra Archeologia estaria delle religioni»، En Gonzalez Prats، A. (Ed), El mundo funerario. Actas del III Seminario internacional Sobre Temas Fenicios, Guardamar, 2002), Alicante 2004, p 54

الاستعانة برموز البعث، والتجديد، التي عرفتها الحضارات القديمة مثل زهرة اللّوتس، وقشور بيض النعامة، وصور المعبودات، وبعض الحشرات، والحيوانات، والطّلاسم، والمفعول السّحري للأحمر الجنائزي، ورسومات الغرف الجنائزية، وهندسة الأضرحة، زيادة لمختلف الوسائل السّحرية الدينية التي مكّنته من الاعتقاد في الحياة بالعالم الآخر.

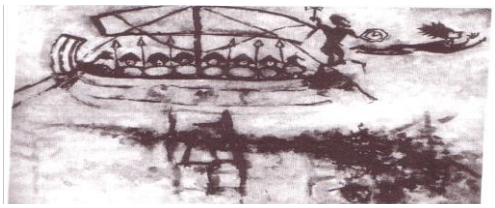

- الصورة **1:** رسم مغارة (كاف البليدة) تونسنقلا عن: S.Lancel , Carthage , p 311

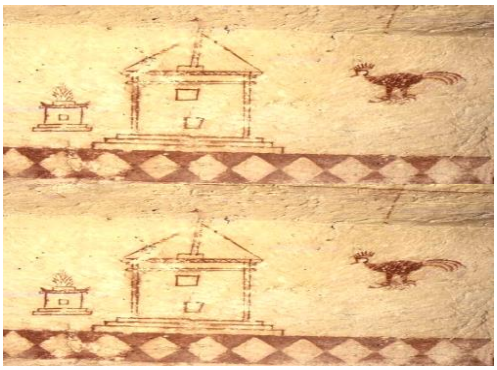

الصورة 2: الروح في شكل ديك تستعد لدخول مدينة الأموات (الرّيفييم

Mounir Fantar , Expressions....., p47